تطور المكتبات في شمال افريقيا القديم
(القرن3ق.م- القرن 5م)

عائشة سعدان
طالبة دكتوراه (س2) جامعة أبو القاسم سعدالله الجزائر -2-
aicha.saadane@univ-alger2.dz
تاريخ الإرسال:16/ 05/ 2019؛ تاريخ القبول: 05/ 02/ 2020

The development of libraries in the ancient North Africa(3rd century BC - 5th century AD),

SAADANE Aicha,

Abstrac : Libraries exist in the ancient Maghreb since the reign of Carthage, where it had an important library which was attributed to the kings of Numidia after the fall of Carthage, which confirms that these kings have private libraries to deposit these books and their writings, knowing that most of them are intellectuals and that they have many writings in addition to acquired books. Other places and this scientific passion inherited from the following generations wasthe ancient Maghreb The theater of science and culture during the Roman occupation and witnessed many cultural institutions, especially libraries, which indicated their existence of archaeological research, and I will try here to list these libraries and to extract the few that the sources have even indicated.

Keywords: Carthage ; Timgad ; libraries; Apulieus; the niches.

.

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

الملخص:

شهد المغرب القديم تفاعل حضاري لاعتبارات عديدة أهمها موقعه الجغرافي الاستراتيجي الذي مكنه من أن يكون نقطة التقاء بين مختلف الأجناس وثقافاتهم، وهذا ساهم في تعدد المنشآت التعليمية وظهور نخبة من المفكرين ساهموا بدورهم في إرساء نهضة علمية وعملوا على توفير آلياتها، وتعتبر المكتبات أهمها.

تواجدت المكتبات في إفريقيا منذ فترة قرطاج، حيث كانت لهذه الأخيرة مكتبة هامة، منحت مؤلفاتها لملوك نوميديا بعد تدميرها باعتبارها تخصهم تاريخيا وجغرافيا، وهوما يؤكد امتلاك هؤلاء الملوك بدورهم لمكتبات خاصة ستودع بها هذه الكتب مع مؤلفاتهم؛لأنه من المعروف عنهم أن أغلبهم مثقفين مثل هيمبسال ويوبا ولهم الكثير من الكتابات بالإضافة إلى كتب اقتنوها من أماكن أخرى، وهذا الشغف العلمي توارثته الأجيال اللاحقة كان المغرب القديم مسرحا للعلوم والثقافات وهو تحت وطأة الاحتلال الروماني أيضا، فشهد الكثير من المؤسسات الثقافية خاصة المكتبات التي دلت على وجودها الأبحاث الأثرية والمصادر الأدبية.

الكلمات المفتاحية:قرطاج؛ تيمقاد؛ المكتبات؛ أبوليوس؛ الرفوف.

مقدمة:

تحدثت المصادرعن المنشآت والمباني ذات الطابع التثقيفي والترفيهي في بلاد المغرب القديم مثل المسارح والملاعب والمكتبات، حيث هذه الأخيرة كانت محل اهتمام كافة طبقات المجتمع، ولها زوار

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

كثـرمن المتعلمينـومن الملوكوالأدباءوالعلماءوقـد ذكروهـا كـثيرا في مؤلفاتهم، ويعتبر تعدد أماكن انتشار هذه المكتبات دليـل قـاطع حـول مكانـة العلـوم والثقافـة الراقيـة في حيـاة الإنسـان المغربـي القـديم، والملاحظ لها يجد أنها تطورت وتزايدت وظائفها تـدريجيا مـع الـزمن، حتى أصبحت مؤسسات قائمة بذاتها، وقد توصّلت الأبحـاث الأثريـة وفرق البحث إلى بقايا لأبنية أثبتوا أنها لمكتبات كانت مزدهرة شاسـعة المساحة ودقيقة وصلبة البناء ما كانت لتكون لو لا وجود من يقصدها.

مكتبة قرطاج في العصر البوني قبل 146ق.م:

تحدثت العديد من المصادر عن مدينة قرطاج وعـن أهميتهـا فقـد كانت متكاملة المرافق ذات الرفاهية الكبيرة ومن بينها المكتباتالتي أشار لها الإغريـق والرومـان، بمـا فيهـا مـن مـدونات قيمـة ضـاع أغلبهـا بسقوطها تحت وطأة الرومان سنة 146 ق.م،إلا أنه حسب بلين الكبير أمدهامجلس الشيوخ الرومـاني بعـد تهـديم قرطـاج كهديـة إلى أمـراء نوميـديا،(Pline l'ancien, Histoire Naturelle, XVIII, V.) ، محمـد الصغير غانم، 2002: 65) ما عدا مؤلف ماغونMagon(أنظر التعليق رقم 1)وهي موسوعة تتكون من 28 جزء بها كل التعـاليم والحيثيـات الخاصـة بالزراعـة في منطقـة المغـرب القـديم كتبهـا بالأبجديـة البونية(Stephane Gsell, 1920: 4) لغة وطنه.

نظرا لأهمية هذه الموسوعة وللاستفادة منها لاحقا فقد عمل مجلس الشيوخ الروماني على الاحتفاظ بها وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، وأسندت هذه المهمة إلى أشخاص أتقنوا جيدا اللغة البونية، وعلى

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

رأسهم القنصل د.سيلانوس D.Silanus(Stephane Gsell, 1920: 5) وقد نقلت أيضا إلى اللغة الإغريقية الكاتب الإفريقي المنحدر من مدينة أوتيكاكاسيو سديونيسوس Cassius Dionysuis d'Utique لكنها اختصرها في عشرين مجلدا بدل ثمان وعشرين وأضاف عليها العديد من الخبرات الزراعية للإغريق، ليختزلها لوبيتنياندیوفان Lebithynien Diophane الى سته مجلدات وأخيرا اختزلت في مجلدين اثنين فقط من طرف أكينيوسبوليو Acinuis Polio(Stephane Gsell, 1920: 5)لكن هذه الكتب ضاعت جميعها، فقط بعض الفقرات التي تناقلها المؤرخين لاحقا.

مكتبات ملوك نوميديا:

توحي العبارة التي أدلى بها بلين الكبير سالفة الذكر, والتي تقول أنه تم توزيع الكتب التي كانت بمكتبة قرطاج على ملوك نوميديا، خاصة تلك التي تخص منطقة شمال أفريقيا، على امتلاكهم لمكتبات سيتم وضع هذه المؤلفات فيها ولو على الصعيد الخاص في قصورهم، وما يؤكد ذلك رجوع هؤلاء الملوك لها والاستفادة منها مثل ما فعله الملك هيمبسال الثاني Heimpsal II (أنظر التعليق رقم 2) الذي أضاف لها وألف من خلالها الكثير من الكتب باللغة البونيقية ما يتعلق بالجغرافيا والتاريخ لشمال إفريقيا، لكنها ضاعت للأسف ما عدا القليل الذي هو شذرات في كتابات بعض المؤرخين اللاحقين مثل كتاب حرب يوغرطة لساليستيوس Sallustius السياسي الروماني

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

(Salluste, La guerre de Jugurtha ; XVII) كما اقتبس منها أيضا بلين الكبير أربعين مرة فيما يخص ما ذكره عن وصف الفيلة (Pline L'ancien, Histoire naturelle ; V, I, 5-16-18 ; X, 11.)،

بالإضافة إلى ذلك نذكر يوبا الثانيJuba IIالذي كانت عاصمته تحتوي أغلب المرافق بما في ذلك الثقافية حيث أعطى لهذا الجانب اعتناء خاص، وهو الذي اعترفت المصادر بشهرته العلمية أكثر من الملكية(Pline L'ancien, Histoire naturelle ; V, 1, 16) حيث كان مؤلفا بارعا وله الكثير من الكتب في مختلف المجالات والتخصصات وبالتالي من البديهي أن يمتلك مكتبة عامة في شرشال يجمع فيها بين مؤلفاته وكتب اقتناها.

أهم ما احتوت عليه مكتبته مؤلفاته والتي من أبرزه اليبيكا؛ ويتكون على الأقل من ثلاثة كتب تدرس الجغرافيا والتاريخ الطبيعي (الحيوانات – النبات- الحجارة..) والأساطير بما في ذلك أسطورة هرقل، وأصل المغاربة وعاداتهم، وخصالهم ولغاتهم بالإضافة إلى البحث عن مصدر مجرى وادي النيل حيث ذكر بعض ملامحه كطوله مثلا وبالمؤلف أيضا حيث ياتل رحلة استكشافية بعثها الملك يوبا بنفسه لجزر الكناري، ويتمعن أيضا فيذكر الحيوانات المنطقة؛ الفهود والأسود وقبل كل شيء الفيلة لأهميتها العسكرية في شمال إفريقيا.(StephaneGsell, 1928, P265)

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

مؤلف المتشابهات أو أوجه التشابه: وهو عبارة عن خمسة عشرة كتاب أجرى فيها مقارنة بين عادات وتقاليد اليونان والرومان ومعتقداتهم وطبائعهم، مركزا على اللغة لكلا الشعبين وقواعد كل واحد منها، وأبرز نتاجهما الأدبي ويد لهذا الكتاب على درايته الكافية بالشعبين معا حيث توصل إلى أن اللغة اليونانية أكثر أصالة من منافستها اللاتينية. (StephaneGsell, 1928, P265)

مؤلف أرابيا: كان هذا المؤلف في عدة كتب يدرس المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي إلى الهند والبحر الأحمر وجنوب مصر وهو عبارة عن هدية من يوبا الثاني إلى الإمبراطور كايوس قيصر تيبريوس، تناول العديد من المعلومات حول الحيوانات والنباتات والأحجار الكريمة والأشخاص والمدن والبيانات الجغرافية. (Maraini Toni, 1999; P59.)

مؤلف تاريخ الآشوريين: تحدث في كتابين عن تاريخ وآثار مملكة آشور بالعراق القديم وتاريخها وأبرز معالمها.

مؤلف تاريخ روما: وبه كتابين يحكي قصص وما وأصولها وتقاليدها منذ نشأتها حيث يدرج أسطورة تأسيسها وحروبها حتى العهد الذي يعيشه.بالإضافة إلى مؤلفطبيتناول فيهالنباتات والخصائص العلاجية لها وكيفية استخلاصها وطرق استعمالها مثل نبات الفربيون وخصائصه العلاجية وهو مفيد جدا لتسهيل الحمل ورفع مستوى الخصوبة لدى الأنسان.

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

أما بالنسبة للفنون فقد خاض فيها أيضا من خلال مؤلفين؛ أولهما حول الرسامين والرسم يتألف من ثمانية كتب وثانيهما حول تاريخ المسرح، ويتكون من سبعة عشرة كتابا.(Maraini Toni, 1999; P59.)

المكتبات الرومانية:

انقسمت المكتبات خلال الاحتلال الروماني إلى نوعين مختلفين؛ الأول يرتاده جميع فئات المجتمع فهي عامة يدخها كل من أراد ذلك ولها قوانين تسير وفقها، أما الصنف الثاني فهي خاصة امتلكها اشخاص معينون في منازلهم فكانت حكرا على أهاليهم وأصدقائهم وبعض المقربين منهم.

المكتبات العامة:

مكتبة مدينة قرطاج:

بعد أن جاءت أعمال التخريب على مدينة قرطاج ومعالمها حسب ما يرويه معظم الكلاسيكيين قرر يوليوس قيصرJulius César إعادة بعثها من جديد وأقام بها مدينة رومانية على أنقاض البونية وقد واصل بعده الاهتمام بها أكتافيوس أغسطسOguste Octavius فأوفد إليها جالية رومانية (ساحير نصيرة، 2013: ص259) وجعلها العاصمة السياسية لشمال إفريقيا، وبهذا عادت إلى الازدهار من جديد وأضحت عاصمة ثقافية بامتياز.

أعيد بناء المكتبة في العهد الروماني مثلما ذكرته المصادر التي عاصرت وجودها، حيث يقول أبوليوس متشرفا في مرافعته الشهيرة مستهزئا بأعدائه لعدم دخولهم مكتبة في حياتهم، وأن المسميات التي

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

يرونها سحر كان قد تعلمها في المكتبة العامة بقرطاج(ApuluisLocius, L'Apologie, 9, 1-2.) وهو ما يبرهن على تعدد وظائف المكتبة حيث تقدم بها الدروس وتلقى المحاضرات إلى جانب اقتناء الكتب، ويفتخر أيضا في كتابه الأزاهير بمدينة قرطاج حيث يقول: [نحن نتشرف بوجودنا هنا(قرطاج) غير بعيدين وراء البحار، حيث نتواجد في مجلس الشيوخ أو في مكتبة قرطاج بذاتها، وتؤهلنا لغتنا لذلك، فإن كنت جديرا بمجلس الشيوخ كنت فيه، وإن كنت عالما تتحدث من داخل المكتبة].(ApuluisLocius, Les Florides, XVIII.)

رغم أن مدينة قرطاج تحتل المكانة المرموقة علميا ولكن لم يتم التوصل إلى مكتبتها كمبنى قائم بذاته مثلما وجدت مثيلاتها من المكتبات(A-G Hamman, 1979, P114) فبقيت الأبحاث الأثرية التي تخص هذا المعلم متضاربة فيما بينها وبعيدة عن الحسم بسبب التناقض حول تأويلها إذ يرجح بيار قروPierre Gros انطلاقا من وصف أبوليوس أنها تقع شرق البازيليك في بيرصاByrsaلكن هذا المبنى لا تتجاوز أبعاده ستة 06 متر في العرض وتسعة 09 متر في الطول ولغياب الرفوفLes niches رجح أنه قد يكون القاعة التي كانت مخصصة لإلقاء الخطب والمحاضرات فقط التي تحدث عنها أبوليوس.(Noureddine Tlili, 2000, P156.)

وبالمقابل ج.دينوف J.Deneauve تحدث عن بناء مستطيل الشكل كشف عنه أثناء الحفريات في الجانب الغربي من فوروم أنطوان،(

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

نصيرة ساحير، 2013: ص269.) أبعاده خمسة وستون 65 متر(شمال/ جنوب) واثنان وعشرون 22متر (شرق/ غرب) يرى بأنه بناء المكتبة المفقودة.

وعلى أي حال فإن المكتبة حسب الوصف الأدبي ضخمة وراقية يحضر بها نخبة المجتمع وتعلوها أصوات الشعراء والخطباء والعلماء(Noureddine Tlili, 2000, P157.) تليق بالمكانة العلمية للقطب الثقافي الشهير الذي تواجدت به.

مكتبة مدينة تاموقادي:

تقع هذه المكتبة في مدينة تيمقاد Thamugadi (أنظر التعليق رقم3) حاليا،وقد بنيت خلال عهد تراجانTrajanus،(محمد تغليسية، 1982: ص22.) وتعتبر من أهم المكتبات في عصرها تحتوي الكثير من الخزائن الحائطية الهائلة، إذ تستوعب الواحدة منها أكثر من ألفين وثلاثمائة مجلد إضافة إلى مستودعات احتياطية(شارل أندري جوليان، 1985: ص245) وتميزتبالنشاط العلمي والحركة الدؤوبـــة والإقبال الواسع من طرف الفئة المثقفة ونخبة المجتمع التي لازمتها بكثرة (Noureddine Tlili, 2000, P159.)

تم اكتشاف هذا البناء من قبل م.بالوM.Ballu وروني كانيا R.Cagnat في سنة 1901م لكنهما لم يتوصلا لتحديد هويته حتى وقت لاحق عند اكتشاف أجزاء النقيشة الخاصة به، والتي عثر عليها عبر مراحل بسبب انشطارها إلى ثلاثة أجزاء، وجد الجزء الأيمن في البداية الذي لم يمكنهم من معرفة تفاصيل الموقع،(René

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

.Cagnat, 1909, P11) وتواصلت الأشغال حتى سنة 1902م والعثور على الجزء الثاني، ثم عند اتمام عملية المسح للجانب الشمالي في 1906م أكتمل الجزء الثالث،(.René Cagnat, 1909, P11) وتوصلوا إلى القراءةالصحيحةللنصبجمع الشظايا،وحددت هوية البناء أخيرا.

تمت ترجمة نص النقيشة والذي احتوى؛ بنيت المكتبة بمبلغ مالي يقدر بـ 400000 ستريس تبرع به السيد ماركوسيو ليوسكوينتانيوس فلافيوسرو غاتيانوس Julius Quintianus Flavius Rogatianus سيناتور ثري متقاعد من الفرقة الأوغسطينية الثالثةمن أهل المدينة (محمد تغليسية، 1982: ص22.) ويحدد القرن الثالث ميلادي تاريخ لبناء هذه المكتبة وللنقيشة التي تحتوي تكريم للسيد المتبرع على حد سواء(بنت النبي مقدم، 2018: ص326).

تم بناء المكتبة على مساحة مفتوحة من ثلاث واجهات وهي عبارة عن رواق في نهايته قاعة نصف دائرية كبيرة مجهزة، بها رفوف Les niches مخصصة لاستيعاب المؤلفات والتي كانت موزعة على طابقين، ويتم توفير الإضاءة للمكتبة من خلال نوافذكبيرة مثقوبة في السقف وعلى كلا الجانبين حتى تتوفر سبل الراحة للقارئ، ويوجد ستة 06 غرف مجاورة للرواق.(Aouailyes et SmaaliMoutassambillahabd el ghafour, 2015; P48)

المكتبة ذات شكل نصف دائري بقطر يصل إلى اثنا عشره متر 12م أما أبعادها فالطول حوالي خمسة وعشرون متر25م، والعرض

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

ثلاثة وعشرون ونصف متر 23,5م تحتوي الكثير من الخزائن الحائطية الهائلة الاستيعاب، إذ تستوعب الواحدة منها أكثر من ألفين وثلاثمائة 2300 مجلد إضافة إلى مستودعات احتياطية وتعتبر مكتبة تيمقاد من أهم المكتبات (شارل أندري جوليان، 1985: ص245) من حيث البناء والتنظيم المحكم لها وكثرة زوارها.

تم إجراء محاولة لتقدير عدد الكميات التي يمكن أن تستوعبها من قبل الدراسات الحديثة، فقد روا أن القاعة الرئيسية بها يمكن أن تحتوي ستة عشر خزانة مكتبية Armaria،وبالتالي ربما كان هناك حوالي 6800 مجلداً وبإضافة إجماليا لمؤلفات للغرف الست يقدر بين 16000 و28000 مجلد، غير أن هذه الأرقام تبقى فرضيات تحتاج التأكيد، لأن المكتبة يمكن أن تستوعب المحفوظات والحسابات التي تسند إليها وهي وظيفة أخرى إدارية، ويعبر موقعها في قلب المدينة على الأهمية التي تتمتع بها الثقافة.(Aouailyes et SmaaliMoutassambillahabd el ghafour, 2015; P48)

يعتبر الموقع الجغرافي لهذه المكتبة استراتيجي في المدينة بالقرب من الفوروم غير بعيدة عن السوقوتستقبل زوارها منذ الصباح حتى منتصف النهار، حيث تكون الشمس أكثر اشعاعا لمساعدة القراء في الوصول إلى المعرفةما جعلها ذات حركة دؤوبة وإقبال واسع من طرفهم فنعتت بخلية النحل لارتفاع أصواتالقراء فيها ، (Noureddine Tlili, 2000; P159) وهي مثال جيد لعمارة المكتباتالنوميدورومانية

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

بنيت على أنقاض مبنى سابق وهو ما جعل التعرف عنها من قبل الباحثين يبدو صعبا.

في الواقع إن انشاء هذا المعلم الثقافي بهذا الموقع الاستراتيجي في مدينة متكاملة المعالم من معابد وحمامات ومسارح تعطي فكرة واضحة وصورة متكاملة عن المكانة التي تحتلها الثقافة في المشهد الحضاري للمدينة وتبرهن على ازدهار الثقافة والتعليم في مجتمع تاموقادي، حيث كانت النخبة المحلية تمارس نظاما فريد من نوعه ألا وهو التوعية الثقافية والفكرية لدى أوساط المجتمع ومن المؤكد أن المكتبة أحد أهم الآليات التي تستخدمها في ذلك حيث هي نقطة التقاء بينهم.(Catherine Salles, 2005; P266.)

مكتبة مدينة بولاريجيا (Bulla Regia):

يشير الأثري مارسيل لغلاي Marcel Leglay إلى وجود مكتبة في مدينة بولاريجيا (أنظر التعليق رقم 4)من خلال العثور على مبنى على أرض مستوية ذو شكل مستطيل يبلغ طوله خمسون 50 متر وعرضه ثلاثون 30 متر(Leglay, 1988: P52-60.) تحيط به أروقة من ثلاث جهات ويقع إلى الغرب من المدينة وللمبنى غرفة كبيرة نصف دائرية محاطة بثمانية 08 أعمدة وبه خمس نوافذ حفظت بشكل جيد مرتبة على الجدار الخلفي للرواق الكبير وأتلف ما سواها، وجد المبنى ضمن ما يعرف بمجموعة سيفيروس Severus Septimius (أنظر التعليق رقم 5)العظيمة ويعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني وبداية الثالث للميلاد. (Noureddine Tlili, 2000; P161)

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

اختلفت رؤية الأثري روجي حنونR.Hannoun لهذا المبنى فحسب وجهة نظره ليس بأكمله مكتبة متكاملة وإنما هو جزء من معبد بالإضافة إلى أن الشكل النصف دائري تعدد وجوده في مختلف الأبنية بهذه المدينة(R. Hanoune,1983: p. 5-48) وهو ما جعله يشكك في هوية ووظيفة هذا البناء.

ومهما يكن فإن الدور الكبير الذي لعبته بولاريجيا خاصة في تكريس اللغة والحروف اللاتينية في المنطقة الواقعة إلى الغرب من قرطاج تؤهلها لأن تكون مركز سياسي، اقتصادي ديني، ثقافي، يحرص على المصالح الرومانية وإدارتها وهو ما يؤكد وجود مكتبة تمّ تمويلها من طرف إدارة البلدية الرومانية.(Noureddine Tlili, 2000; P162.)

وقد تواجدت بإقليم المدن الثلاث العديد من المكتبات التي انتشرت هنا وهناك ودلت عنها الشواهد الأثرية حيث كانت ملحقة بالحمامات العامة مثل العائدة إلى حمامات الإمبراطور هدريانوسHadrianus في لبتيسماغناLeptis magna (أنظر التعليق رقم 6) وتوجد في هذه المدينة مكتبة أخرى تعود لعهد الإمبراطور سبتيم سيفار ضمت مختلف الكتب البونية والرومانية.(أحمد أنديشة، 2013: ص287.)

المكتبات الخاصة:

إن الدرجة الرفيعة التي عرفتها شمال افريقيا في مجال الثقافة والعلوم وبروز نخبة لا بأس بها من المثقفين القادرين على التأليف بكل سهولة عدا اهتمامهم بالمطالعة والقراءة يجعلنا نفكر في أنه من الطبيعي

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

امتلاك أغلب هؤلاء لمكتبات ولو على بساطتها في بيوتهم تتميز بالخصوصية والتي يستفيد منها حاشيتهم ومن حولهم من أقرباء وأصدقاء أو تلاميذ وحتى العبيد والخدم.

مكتبة كنيسة هيبون للأسقف أوغسطينوس:

تعتبر مكتبة كنيسة هيبون(Hippone) استثنائية فهي ملك خاص لأسقفها، احتوت مجموعة معتبرة من الكتب التي تخص الدين المسيحي وبعض مخطوطاته، وقد ارتادها فقط ضيوف الأسقف ورجال الدين المسيحي بالإضافة إلى الرهبان والراهبات (NoureddineTlili, 2000; P163.) الذين خصصوا لها من قتهم للصيانة والنظافة إضافة إلى أنهم يقضون جل وقتهم بها في المطالعة.

مكتبة بيت بونتيانوس(Puntianus):

تحدث عنها أبوليوس في كتابه الدفاع أو الشهير بالسحر فهي متواجدة في بيت صديقه بونتيانوس في مدينة أوياوقد عرف بوجودها عندما زار صديقه أثناء رحلته إلى مصر التي لم تكتمل بسبب المرض. (ApuluisLocuis, L'Apologie, 9, 1-2.)

دلت البقايا الأثرية أيضا على وجود العديد من المكتبات الخاصة، ألحق الكثير منها بالفيلات مثل فيلا سيلين غرب المدن الخمس ومكتبة فيلا دار بوك عميرة بزليطن بليبيا حاليا، كما ألحقت بالحمامات مثل حمامات هادريانوس بمدينة لبدة الكبرى.(أحمد أنديشة، 2013: ص289.)

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

حفظ واقتناء المخطوطات بالمكتبات الرومانية:

كان أسلوب التخزين موحد في كافة المكتبات، حيث تمّ حفظ لفائف ورق البردي في خزائن خشبية مرتبة على الرفوف المنحوتة في الجدران ذات الأبواب المحكمة الغلق، وتوضع اللفافات جنبا إلى جنب على مستويين أو ثلاثة أو مستويات أكثر مرتبة في شكل الأهرامات في مجموعات من خمسة أو عشرة على سبيل المثال ثلاثة في القاعدة، اثنان في الوسط وواحدة في الأعلى وعلق بها عناوين هذه الأعمال وتحمل كل خزانة Armaria رقمًا خاصا(Girard Coulon, 2004, P33) وفي حال كانت هناك عدة لفافات ضرورية وذات اهمية تجمع في حزم ويتم الاحتفاظ بها في علبا سطوانية مصنوعة من أوراق خشب الزان تسمى الكابسا capsa أوscrinia وهي عبارة عن حافظة، ومن المحتمل أنها كانت تحمل في الداخل رقما لخزانة التي وضعت فيها. (Girard Coulon, 2004, P33)

هناك بالفعل اهتماما كبيرا في كيفية حفظا لكتب و وقايتها بسبب حساسة البرياتو الرقائق،حيث يوصي المهندس المعماري فيتريفيوس Vitruvius (أنظر التعليق رقم 07) (Vitruve, De L'Architectura, 1847) بأن يتم بناء المكتبات إلى الشرق متجهة إلى الشمس المشرقة من أجل تجنب الرطوبة التي تولدها الرياح في الغرب والجنوب للابتعاد عن الفطريات والحشرات المتلفة والآفات الأخرى،كما كان من المعتاد طلاء البرديات بزيت الأرز،مما أكسبه صفرة ذكرها العديد من المؤلفين القدماء وإضافة بضع قطرات من

المنارة للاستشارات

زيت الشيح إلى الحبر لإبعاد القوارض خاصة الفئران التي تكره رائحته فتبتعد.

تم ترتيب المخطوطات في أعمدة من اليسار إلى اليمين تحمل هذه الأعمدة في بعض الأحيان أرقام في الهامش بينما العناوين كانت موضحة بالحبر الأحمر وعلى القارئ إرجاع اللفافة عند الانتهاء منها حتى يجدها من بعده جاهزة (Girard Coulon, 2004, P33) للإطلاع أو الاستعارة(Aulu-Gelle, Les Nuits attiques, XIX, 5.)،كما بها أماكن مخصصة للمناقشة والتبادل الفكري وحجرات مخصصة للدراسة والتعليم.

وضعت لافته في مدخل المكتبات تشير إلى ساعات العمل وينبغي على القارئ عند المدخل أن يُقسم على عدم سرقة أي كتاب يقرأه،(Girard Coulon, 2004, P33) وقد اندهش الأسقف أوغسطينوس عند رؤيته الأسقف أمبرواز saint Ambrosium يقرأ بصمت لمدة طويلة من الوقت حيث تقفز عيناه على الصفحات ويصور له عقله المعاني، (Saint Augustin, Les Confessions, VI, III, 3) وهذا ما يدل على أنه أمر غريب عنده لم يعتد عليه في إفريقيا حيث كانت المكتبات ترتفع منها الأصوات القراء جهرا مثل خلايا النحل.

الخاتمة:

تعد المكتبات تقليد قديم في منطقة المغرب القديم حيث حوت قرطاج على مكتبة ذات شهرة كبيرة ومؤلفات قيمة، ولأهميتها استثنتها محرقة

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

روما محتفظة بما يخدم مصالحها منها مثل المؤلفات الخاصة بالزراعة وأهدت البعض الآخر.

يستشف الباحث أن الملوك النوميد تميزوا بثقافة كبيرة وتوصلوا إلى كتابة مؤلفات ضخمة لابد أنها وضعت في مكتبات خاصة بقصورهم وما يعزز هذا الرأي وهبهم الكتب الخاصة بممالكهم الموجودة في مكتبة قرطاج حسب ما تذكره المصادر.

ساعدت العمارة الرومانية على تخليد المكتبات الرومانية المتواجدة في بلاد المغرب القديم والتي دلت عليها الأبحاث الأثرية مثل مكتبة تيمقاد والتي هي شاهد إلى اليوم.

عرفت بلاد المغرب القديم نوعين من المكتبات أثناء الاحتلال الروماني،النوع الأول عبارة عن مكتبات عامة يرتادها كافة أطياف المجتمع من النخبة المثقفة ومكتبات خاصة تكون لأجل فئة معينة حيث يؤسسها أشخاص في بيوتهم لأنفسه مأوى لبعض خاصتهم مثل أهلهم وأصدقائهم والمقربين منهم.

إن الاهتمام الكبير لإيصال الكتب والثقافة الرومانية للمجتمع جعل من المكتبات تنتشر في العديد من الأماكن حتى أنها ألحقت بالكثير من الحمامات والفيلات كتلك التي وجدت في حمامات أنطوان وفيلا دار بوك (لبدة الكبرى) ليبيا.

دلت المكتبات على أن جذور الثقافة متأصلة في بلاد المغرب القديم منذ العهد القرطاجي مرورا بالممالك النوميدية حتى نهاية العهد

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

الروماني وربما لما بعده، فهي لم تكن وليدة العصر الروماني رغم أنها انتظمت وتوطدت في كافة المجتمع في هذه الفترة.

التعليقات والشروحات:

1- ماغون(Magon): قائد عسكري قرطاجي عاصر فترة الحروب البونية، ويذكر أنه أحد أبناء الزعيم القرطاجي هميلكار برقة (278-219 ق.م)، جمع خبراته من الريف. ينظر: الشاذلي بورونية، محمد الطاهر، 1999، قرطاج البونية تاريخ وحضارة،ط1، مركز النشر الجامعي، مصر، ص147.

2- هيمبسال الثاني(Hempsal II): وهو ملك نوميدي بن غودا، خلف والده في الحكم عام 105 ق.م، وصف بأنه ملك ذكي، ومتشبع بالثقافة الإغريقية، واللاتينية، إضافة إلى الليبية، اهتم بتراث أجدادهواحتفظ هذا الملك المثقف بالكتب البونية التي أهدت للملوك النوميد بعد تدمير قرطاج ومكتبتها سنة 146 ق.م كان مؤرخا، ألف العديد من الكتب في التاريخ، والجغرافيا باللغة البونيقية بحث فيها عن أصل سكان شمال إفريقيا، وقد طغى على مؤلفاته الطابع الأسطوري، وهي من المصادر الأولى التي اعتمد عليها المؤرخ الروماني ساليستيوس في كتابه حرب يوغرطة. ينظر: محمد البشير شنيتي، 2003، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، ط1، دار الحكمة، ص160.

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

3- تاموقادي (Thamugadi): مدينةأسسها الإمبراطور تراجان في بداية عهده في العام 100م على شرف شقيقتهما رسيانا ترايانا ثاموقادي (Thamugadi Traiana Marciana)كما يشهد على ذلك نص الإهداء المكتوب على قوس النصر، كانت معسكرا للجيش ثم تطورت وتوسعت، وتقع في شمال الأوراس جنوب شرق ولاية باتنة حاليا، لقبت بومباي إفريقيا لأهمية الدور الذي لعبته في التاريخ النوميدوروماني. بنظر:

- Stephane Gsell , 1901 , Les monuments antiques de l'algerie, T1, AncienneLibrairieThorin et Fils Albert FontemoingÉditeur, Paris, P112.

4- مدينة بولاريجيا(Bulla Regia): مدينة رومانية تقع شمال غرب جندوبة التونسية تشتهر بمعالمها الرومانية خاصة الحمامات والمساكن. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص235.

5- سيفيروس (SeptimiusSévérus): الأمبراطورسيفيروسمن أصل افريقي ، لكنه مواطناً رومانيا ، ينحدر من مدينة لبتيسماغنا (Leptis magna)الليبية، حكم روما لمدة ثماني عشرة سنة، من العام 193 ميلادية حتى وفاته سنة 211 ميلادية تمسك بالعادات المغاربية التي ورثها عن والداه فرغم اتقانه للاتينية تكلم مع أهل قصره باللوبية، تزوج من سيدة سورية اسمها جوليا دمنا هي ابنة لكاهن وأنجب منها وأشهر أولاده كاركلا، كان لسيفار شهرة واسعة وإصلاحات عديدة. للتعرف أكثر على هذا الإمبراطور ينظر:

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

- Daguet-Gagey Anne, année 2004, Septime Sévère et ses fils, RestitutoresVrbis: la personnalisation des mérites impériaux. In: Revue numismatique, 6e série - Tome 160, pp175-177.

6 – لبتيسماغنا (Leptis magna): عرفت أيضا باسم لبدة الكبرى وهي مدينة تقع حاليا في ليبيا، لعبت دورا هاما على مدى الفترات التاريخية منذ الأرتياد الباكر للتجار الفينيقيين حتى أواخر التاريخ القديم خاصة أثناء الاحتلال الروماني حيث سميت لبتيسماغنا، والدليل على ذلك مختلف الشواهد الأثرية المتواجدة إلى اليوم. للمزيد ينظر: حميدة محمد اكتيبى، 2014، الأهمية الجغرافية والتاريخية لمدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد28، ، ص ص 15-62.

7- ماركوس فيتروفيوس(Marcus Vitruvius Pollio) مهندسا معماريا وكاتبًا لاتينيًا كتب قواعد الهندسة المعمارية باللاتينية بعشرة كتب سميت "De architectura" التي كانت المرجع الأساسي للبناء الروماني وما بعده، للمزيد ينظر: فيتروفيوس، الكتب العشرة في العمارة، تر: يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، مطبعة جامعة إكس فورد، لندن، 1914، ص12.

***الهوامش:**

1-أحمد أنديشة، جويلية 2013، المكتبات الرومانية، مجلة دار المنظومة، جامعة المرقب، العدد3، ليبيا.

2- بنت النبي مقدم، جانفي 2018، الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، جامعة وهران2، العدد8، الجزائر.

المنارة للاستشارات

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 45- 67

3- حميدة محمد اكتيبى، 2014، الأهمية الجغرافية والتاريخية لمدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد28، ليبيا.

4- الشـــــاذلي بورونية، محمد الطاهر، 1999، قرطاج البونية تاريخ وحضـــارة،ط1، مركز الــنشر الجامعي، مصر.

5- شارل أندري جوليان،1985، تاريخ أفريقيا الشمالية، ط1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس.

6-محمد البشير شنيتي، 2003، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، ط1، دار الحكمة، الجزائر.

7- محمد الصغير غانم، جوان 2002، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري، العدد 17.

8-محمد تغليسية، 1982، دليل آثار ومتحف تيمقاد، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر.

9- نصيرة ساحير،2013، قرطاجة عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب خلال العهد الامبراطوري الروماني 27ق.م-429م، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة، العدد24، الجزائر.

10- فيتروفيوس، 1914، الكتب العشرة في العمارة، تر: يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، مطبعة جامعة إكس فورد، لندن.

11- A-G Hamman, 1979, La vie quotidienne en afrique du nord au temps de saint Augustin, Hachette, Paris.

12- Aulu-Gelle, 1920, Les Nuitsattiques, Tra: M. Charpentier, M. Blanchet, Oeuvres complètesd'Aulu-Gelle, Tome II, Garnier, Bibliothèquelatinefrançaise Paris,

13- Aouailyes et SmaaliMoutassambillahabd el ghafour, 2015-2016, Le forum de la ville romaine Casd'etude Timgad, Mémoire de fin d'études pour l'obtention du diplôme de master enArchitecture, UniversitéLarbiTébessi – Tébessa, Alger.

المنارة للاستشارات

14- ApuluisLocius, L'Apologie, Œuvre complètes, tr: Victor Betolaud, Ed:G Frère, Paris.
15- ApuluisLocius, Les Florides, Œuvre complètes, tr: Victor Betolaud, Ed:G Frère, Paris.
16- Catherine Salles, 2005, "Vie culturelle et littérairedansl'Afriqueromaime, L'Afrique Romaine de 69 à 439", Questions d'histoire :histoire ancienne, Romanisation et Christiasation, Ouvragecollectifcordonné par Bernadette Cobore, édition Temp.
17- Coulon Girard, Join-Juillet2004, Les bibliotheque publique dans l'empire romain, Revue L'Archeologue nouvelle, N72.
18- Daguet-Gagey Anne, année 2004, "SeptimeSévère et sesfils", RestitutoresVrbis: la personnalisation des méritesimpériaux. In: Revue numismatique, 6e série - Tome 160,
19-Leglay Marcel, 1988, Une nouvelle bibliothèquemunicipale à Bulla Regia en AfriqueProconsulaire ?, dans Mélanges de la bibliothèque de la Sorbonne offerts à A. Tuilier, Paris.
20- Maraini Toni, 1999; Juba de Maurétanie et l'héritage antique. In: Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, N°39,. Place Jema' el Fna : Patrimoine Oral de l'Humanité. Héritagecommun en Méditerranée.
21- NoureddineTlili, 2000, "Les Bibliothèque en Afriques romaine"Vol26, In Dialogues d'histoireancienne, 2000.
22- Pline l'ancien, 1850, Histoire Naturelle, XVIII, V, éditiond'ÉmileLittré, Paris.
23- R. Hanoune, 1983, Bulla Regia *:* bibliographieraisonnée, dansBeschaouch *et alii* , Rome.
24- René Cagnat, 1909, "Les bibliothequesmunicipalesdansl'empireromain", In : Mémoires de l'Institut national de France, tome 38, 1 partie.

المنارة للاستشارات

25- Salluste, 1930, La Guerre de Jugurtha, Œuvre complètes, tr:Charle Durosoir, Ed:G Frère, Paris.
26- Saint Augustin, 1868, Les Confession, Oeuvres complètes de Saint Augustin, trad:M. Raulx, Ed L.Guérin et Cie, Paris,.
27- StephaneGsell ,1901, Les monuments antiques de l'algerie, T1, AncienneLibrairieThorin et Fils Albert FontemoingÉditeur, Paris.
28- StephaneGsell, 1920, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T4, AncienneLibrairieThorin et Fils Albert FontemoingÉditeur, Paris.
29-StephaneGsell, 1928, Histoire ancienne, T8Ancienne, LibrairieThorin et Fils Albert FontemoingÉditeur.
30- Vitruve, 1847, De L'Architectura, Tr: M.CH.L Maufras, Bibliotheque Latine, Paris.

للإحالة على هذا المقال:

ـ عائشة سعدان، (2020)، «تطور المكتبات في شمال افريقيا القديم (القرن ق.م– القرن 5م)».
المواقف، المجلد: 16، العدد:01، مارس 2020، ص. ص 45– 67.

المنارة للاستشارات